هن

(مجموعة قصصية)

ولاء بيومي

اسم الكتاب : هن (مجموعة قصصية)
اسم الكاتب : ولاء بيومي
رقم الإيداع : ٢٠١٤/٢١٣٨٧
الترقيم الدولي :
الطبعة الثانية : ٢٠١٥
إخراج : هيام فهيم
صادر عن : مؤسسة زحمة كتاب للثقافة والنشر
١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة

www.za7ma-kotab.com
www.facebook.com/za7ma
www.facebook.com/za7makotab
za7ma-kotab@hotmail.com

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لمؤسسة زحمة كتاب للثقافة والنشر
المشهرة قانونا بسجل تجاري رقم / ٨٤٤٨٦

إهداء

إلى تلك السيدة التي تسكنُ الجنة بقلبِها، وتَجمَّع حنان الكون في أحضانها، وتحملت كل حماقاتي وسخافاتي إلى صديقتي أمي ...

إلى صديقي اللدود الشاعر المبدع أحمد فرج الذي اجتهد من أجل هذا الكتاب أكثر من إجتهادي الشخصي.

إلى هذا الذي جائني بعد إنتظار وألقى على قلبي السلام ونثر على روحي البهجة وأحيا بداخلي امرأة كانت حية .. إلى السر الذي أحفظه بين الورق وقلبي إلى يحدث بعد ذلك أمرًا .

إلى كل من أحببتهم وكل من أحبوني، لكل من ساندني وكل من أصابني بخيبة جعلتني اكثر اصرارا علي النجاح ...

أهدي كتابي الأول ..

ولاء بيومي .. ✍

.

مقدمة

أَيَتُها البَرِيئة كطفلةٍ عُمرُها دقيقةٍ .. لا تعشقي، العِشقُ مؤذٍ لِبرائَتِك .

سَتشعُرِينَ بسعادةٍ تَجَعلُ مِنكِ فراشةً تَطيرُ دونَّ أجنحةٍ ثُم تكسرُكِ خيبةٌ تحرِقُ أَجنحتك وتُحوِّلك لعجوزٍ لازَالت في شبابِها.

♠♠♠

انتظار

المكان يسودُه هدوءٌ قاتل تجلسُ في ركنٍ بعيدٍ ثابتةً لا تتحرك ساكنة لا تتكلم ، مثلَها كَمثَلِ قطعةٍ من أثاث المنزل .

رنَّ هاتفُها فجأة بعد طولِ صمت وانتظرت حتي انتهى صوتُه وتلاشى تَمامًا ، نظرت إليه نظرةً متوجسة .

ذهبت إليه بخُطوات مترددة خائفة ألا يكون هو صاحب الرقم المجهول فيخيب أملُها.

أمسَكت بالهاتف وتأَمَلت الرقم بلهفة وظلَّت للحظات ممسكةً به تُفَكِّر في معاودةِ الاتصال .

ابتسمَت ابتسامةَ عاشقةٍ حمقاء، تتذكر كل لحظة مرت بالقرب منه .

ذلك الرجل نادرُ الوجود لا يتكرر كثيرا ،مهندمُ الهيئة أنيق دائما في أبهى صورة.

تعشقه كلُ من تعرفهُ ، يبهر كل عذراء تمر بحضرة وجوده من بين كل هؤلاء اختارها هي لتكونَ بطلَة قصته الوحيدة.

أعطاها من الحُبَّ ما لم تحلم أن تحياهُ يوما، وأعطاها من السعادةِ ما يُمكِّنها من أن تعيش علي ذكراها ما تَبَقَّى لها من عمرها بدونه.

فجأة وبِدون سابق إنذار صَعَقها وتَرَكَها كيتيمةٍ فَقدت أباها ولا تعرفُ مكانًا لقبره.

كشجرةٍ تَقَطَّعت كلُ الغابة من حولها وتُركت هي وحيدة جذورُها تمتدُّ لأمتارٍ تحت الأرض .

تَرَكَها دونَ إبداءِ أسباب للرحيل وكأنَّه أَخَذَ منها حيويِّتها وشَبابَها وتَرَكها عجوزًا في العشرين من عُمِرها .

هنا سقطت منها دمعة كسَرت آخَر ما تبقَّي لها من كبرياء أُنثى تركها رجلٌ في نِصف الطريق.

ذهبَت لتتمددَ علي أريكةٍ قريبةٍ من الهاتف منتظرة اتصالًا جديدًا قادرًا علي إنقاذ حياتها .

♠♠♠

لقاء

جلس علي مِقعِدِه اليوميّ في ذلك المقَهى المُعتاد، أمسَك بقلمِه الذي يُعانِده منذ أيام ليخُرجَ فكرةً لروايةٍ جديدة تنضمُّ لصفِّ رواياتِه ، يجلسُ أمامَهُ فنجانُ قهوةٍ يرافقُه صوتُ فيروز الملائكيّ الساحر ، ينظرُ من زجاجِ النافذة المُطِلَّة علي الشارع ليرى الكثيرَ من البشر ويظلُّ وحيدًا بداخله ، وتتصارعُ الأفكار في عقِله وتتضاربُ فيقرر العودةَ مُجَددًا لقلمِه.

تَوَقَّفَ الزمنُ فجأة ، أُصيبَ القلمُ بالذهولِ لتبكي الورقة من السعادة وتتجمَّدُ القهوةَ من المفاجأة حين رآها.

تَدَخُل أَمامَهُ بشعرِها المنسدل علي كتفيها وضحكتها الصافيه وعفوِّيتِها القاتله وملامحِها التي تُشِبه بها حوريةً نزلت من الجنه .

احتاج للحظات ليستوعبَ تلك اللحظه الفاتِكه بأعصابه.

تلك هي الفتاةُ التي استوطِنت جسدَهُ واستعمَرَت روحَه ورفض إعطِائها الحقَّ في الجلاء عنه، حتي بعد فِراقها ظَلَّت مُلهمتَه وفتاه قلبِه الوحيدة .

مرَّ علي اللقاء الأخير بينهما سبعةُ أعوام ، لم تَغِب ليلةً

عن منَامِه ، يشعُر بطعمِ شفتيها مع كلِّ رشفَةِ قهوة ، يسمعُ صَوتها حين تقولُ له فيروز: بعدك علي بالي ، يحيا اليوم بذكرياته معها وأمله في أن يراها مُجددًا.

انتَبه لصغيرةٍ مُعلَّقَة بيديها وكأنَّها شيء منها تُشبهها كثيرا حدَّ التماثُل تُقاسمها البراءة والجمال .

جلسَت مع طِفلتها علي طاولِةٍ تبعُدُ عنه خطوات ، روحها تلتصقُ بروحهِ ، وتفصلهُ عن جسدِها مسافاتٌ طويله وقيودٌ لا تنتهي .

حرَّضَه قلمُه على كسر حاجز خوفِه والذهابِ إليها والحديث معهَا ، تنَفَّسَ بِعُمق واستجمعَ شجاعَته وهَمَّ بِالقيام إلاَّ أنّ قاطّعَ مُبادرته رجلٌ دخل أمامَه يرتسمُ علي هيئتِه ملامحُ زوجٍ ويتَبَيَّن من لهفته أنَّهُ أَب ، اتجَهَ نحَوهَم طبعَ قُبلةً علي خِّدها بحنان بالغ أحرقت قلَبه وحوَّلَتهُ لبقايا رجُلٍ بائس .

تَمَثَّل الندمُ أمامَه في صورةِ شخصٍ ينهرهُ على ضياعِ جوهرتِه الثمينة من يديه وتسليمها لأَخرٍ يدُركُ قيمتَها .

تذكَّر يومَ توسَّلَت عيناها له من أجل البقاءِ ، يومَ اختار هو الرحيلَ بحماقةِ رجل يجهلُ ما ينتظره من بؤس ، قَطَفَها وردةً من بستان ازدهرت فيه ليتركَها بلاعنايه في الهواء فيأتي غيرُه يسقيها عشقا لتنبت بين أحضانِه.

قرر التخلُّصَ من تلك اللحظةِ القاسِية على حواسِّه والانسحابَ من معركةٍ محسومةٍ هو ليس طرفا فيها من الأساس .

سحب قلمَه ولملَم أوراقَه وهمَّ بالخروج حينها وقَف علي عتبةِ عينيها حين رأته وظهر الذهولُ علي وجهِها وارتَسمت عليها ابتسامةٌ مكسورةٌ مع دمعةٍ أبَت السقوط مُجددًا ، نظرت عيناه لعينيها مُطالِبَةً بالغفران فابتسمت بالموافقة ، تَأمَّلَ ملامحَها للمَّرةِ الأخيره، أعطاها ظهرَه من جديد ورحل .

♠♠♠

خيبة أمل

عادَ إلى المنزلِ مُبتسمًا وكم افتقَدت هي تلك الابتسامة منذ وقتٍ طويل حاملًا معه باقَةً من الورودِ الساحرة وفستانًا أسود أنيقًا ، قائلًا : "لطالما احببتُك بالأسود ".

شعَرت بسعادةٍ تجتاحُها، تُنسيها كُلَّ ما مَرَّ بها من ألمٍ ووجعٍ وكم مَرَّ زواجهما مؤخرًا بأوقاتٍ عصبية.

طَلَب مِنها أن تَجهز سريعًا لكي يصطحِبَها للعشَاءِ في مطعمِهما المُفَضَّل.

أَخذت تُجَهِّزُ نَفسَها في لهفَةٍ شديدَةٍ وتضعُ كلَ زينَتها لتَرى نفسَها جميلةً أكثرَ من أيَّ وقتٍ مضى .

منذ وقتٍ طويل لم يغمرها بمثل هذا الحب .

حجزَ لهما مقعدين في جانبٍ بعيدٍ عن الناس، بدأَت الموسيقى في العزف ، لم يكنا يرقصان هذه المرة بل كانا طائرين يطيران علي ألحانِ كمانٍ هادئ.

انتهت الرقصة وعادا للطاولة كجسدين التحما في جسدٍ اختبأت فيه كطفلةٍ فقدت أباها ووجدته أخيرًا.

أَمسَكَت يده بحنانٍ قائلة : كنتُ أعلمُ جيدًا أن ذاك العشق الأبدىّ لن تسمح له بالضياع.

ضم يَدَه علي يدها بقوةٍ وعيناه تملأهما الدموع قائلًا:

لطالما كنتِ أُنثى تستحقين الكثيرَ،أنثى لا تتكرر ، وآخر ما تمنيت خسارتك.

أنتبهَت للحديث وحاوَلت الحفاظ علي ابتسامتها قائلة : لن تخسرني .

ترك يدَها وسقطت دموعُه قائلًا : لقد خسرتُك وانتهى الأمر منذ دقَّ هذا القلبُ لغيرك.

زادَت نبضاتُها وسقطت عليها الكلمات كهطول أمطار باردة في ليلةٍ دافئة .. تضارب كل ما بداخلها ونظرت إليه ترجو منه توضيحًا لما يحدث .

قاطعَ حيرتَها قائلًا أتمنى لك حياة سعيدة بدوني وذهب بعيدا.

♠♠♠

ما أقسى ذلك الإحساس الذي يُحطّمُ صدرَك
حينما يكون هناك شيءٌ يسكن عقلك، ويؤلم قلبك،
فلا تستطيع التفوه به، وقد تعبت قواك من تحمّله ..
فيصبح كل شيء منهكًا لأعصابك ..
وكل ما تريده هو البكاء .. وكل ما تفعله هو الصمت.

مرارة الفقد

لم يكن مدرِكًا ذلك الوقت ما يحدث جيدًا، كل ما يراه كان غريبا لم يشهده من قبل .

نساءٌ كثيرةُ تتشحن بالسواد منهن من تبكي بُكاءً حارًا، ومنهن من تَتغامزُ مع من حولَها في خُبثٍ غريب .

صوتُ القرآن لا ينقطع وهذا ما بعثَ في قلبه شيئًا من الاطمئنان .

لأول مرةٍ لا يشعر بالدفء بين أحضانِ أمه التي قطع البكاءُ أنفاسَها .. ظلت تُهمهمُ بكلماتٍ حاول فهمَها ولم يستطع .

جاء الليل وانفضَّ المنزلُ من كَلِّ غريب، ظلَّ ينظُرُ إلى والدتِه نظرةً عاجزةً، فهي هادئة يغطي وجهَها حزنٌ لم يره عليها من قبل .

أدرَك أنَّ ما يحُدثُ سببَهُ رحيل جدَّتِه، تلك السيدة العجوز، حكيمةُ الموقف، قليلةُ الكلام، وحين تتحرك شفتاها ، يصمت كبارُ الرجال إنصاتًا لها .

ها هو اليوم يتذوق نفس مرارة أُمِّه، يشعرُ بنفسِ الوجع

الذي بات يسكن صدرهَا قديمًا، فاليوم يقف ثابتا صامتًا يأخذ العزاءَ في رحيلِ أُمِّه، فلا يليقُ بالرجال البكاء لا يبكي .

انتهى اليوم وجاء الليل وذهب كلُ غريب إلى مأواه، ودون تفكير ارتمى بين أحضان طفلتِه يبكي بقوةٍ وينتحب أمه آخر ثوب كان يستره.

♠♠♠

سيدة الحزن

جلَسَت أمامي ترتدي رداءً أسود كلونِ عينيها العربيَّ الأصيل، وكأن حُزن العالم تَجَمَّع واتفق ليُشَكِّلَ ملامح تلك السيدة الحزينه .

فَمُها مُغلق ولكن كل خطٍ بوجهِها يحكى حكايات كثيرة، تتلفَّتُ عيناها في كل الاتجاهات وكأنها تبحثُ عن منقذٍ لتلك الآلامِ التي تملأُ قلبَها.

تجمعُ بين حاجبيها تجاعيدًا كثيرة ترتسمُ علي صورةِ شخصٍ يموتُ ألمًا ، حاوَلَت جاهِدَةً بكل ما فيها من قُوَّة أن تمنعَ تلك الدمعة من السقوطِ ولكن لم تستطع فدمعتُها كانت أقوَى منها ، ثُمَّ تَنَهَّدَت تنهيدَةً طويلة وكأنهَّا نَفَثت عن نارٍ بداخلها وذَهَبت .

حاولتُ تتبعها بعينى إلا أنها اختفت نهائيا وكأن الطريق قد ابتلعتها .

♠♠♠

يا أُمي

يجلسُ مُستندًا على الحائط في رُكنٍ بعيد يَضُمُّ قدميه بشدة الى صدرِه وتلتفُّ يداه حولَهما بقوةٍ ، وكأنه يختبئ في نفسه من شيءٍ مرعب.

طفلٌ لم يتجاوز السنواتِ العشر، شعرهُ أسودُ من أحلك ليلةٍ حزينة، ملامحُة ملائكية، عيناه أسودُ من شعرهِ بهما بحرُ دموع هادئة لا تنهمر، تحملان حزن عجوزٍ بلغَ من العمر عِتِّيا.

كلَ ما يدورُ في ذهِنه تلك الكلماتِ الأخيرة التي وَقَعَت علي مَسمعِه "أنت يَتِيم" .

كانت كوقعِ ثَورةٍ عنيفةٍ في دولةٍ ساد فيها السلام .

كلمتان جديدتان على أُذنيه، جارحتان لقلبه، حملٌ كبيرٌ على بدنِه.

لطالَما تساءَل كثيرًا لماذا لا يعيشُ بين أحضانِ أبوين كأي طفل يعرفه ؟

كم من مرِّةٍ بكى في الليلِ خوفًا من أشباحٍ تُطارِدَه فأختبأَ منها في أحضان وِسادِته دونَ يد أُمٍّ حانيةٍ تُطمئِنُه، وتُعيِدُه للنومِ بسلام.

كُلَمَّا رأى أَبًا يَضُمُّ طِفلَهُ بِقُوة شَعر برعشَةٍ تُهِزُّ جسدَه كصاعِقَةٍ تُفسِدُ جَمالَ ليلةٍ هادئة مشتاقًا لضمةٍ كتلك تحميه من البرد .

بكى ببراءةِ طفلٍ وألمِ رجل ثم دَفَن رأسه بين قدميه وصرخ بقوةٍ : " يا أمى".

♠♠♠

هناكَ شيءٌ مَا يختبئُ داخِل كُهوف روحي أجهلهُ،
ولا أعرِف متى بدأ ، وليس لديَّ فِكرة متى سينتهي،
ولكِن كُلِ ما أدركه أنَّه يُعكِر صَفو سعادتي،
ويُميز ضحكتي بحُزنٍ واضح،
ويجعلُ الخوفِ يسيطرُ على عقلي من كُلِ شيء قادم،
ويقف أمام ثقتي بأي أمل في السعادةِ.

سجينة العمر

جلسَت على مقعدٍ بعيدًا عن أعينهم ينظر للشارع، يفصلها عن ضجِيجة وزحامِه سورٌ طويل من حديد وكأنه يفصل روحَها عن الحياة .

تنهَّدَت تنهيدةً قويةً وأخذت تفكر كم كانت سيدة قوية ناجحة، تأملت يوما أن تكون من أشهر سيدات العالم .

قطعَ تفكيرهَا فجأة مشهدُ سيدةٍ تحملُ طفلةً وتتمسَّك بالأُخرى، تنظر حولها في كل الاتجاهات وتحتضن طفلتيها بقوة أم، تُحاول أن تنجو بهما من هذا العالم المُخيف .

ابتسمت شفتاها لوهلةٍ وسرعان ما عقدَت حاجبيها وانكمش وجُهها خوفًا واختفت الابتسامة وارتعد جسدُها وراح صوتُها فأرادت أن تصرُخ بقوة ولكن هربَ منها الصوت .

ورأت تلك السيدة في نفس مصيرها الآن .. وارتسمت من عينيها دمعةٌ قوية تحكي مَأساتَها.

فكانت أمًا لثلاثة أطفالٍ عشقت حَد الجنون، لم تعرف القسوة طريقًا لقلبِها .. أَغدقَت عليهم من بحر حنانِها دون إنقطاع.

والآن هي أسيرةٌ في دار للمُسنِّين والغرباء.

لم يتحملها من كانوا منها يومًا، من تحمَّلت من أجلِهم الكثيرَ ولم يكن في قدرتهم القليل من الصبر علي عجزها .

تُركَت بين تلك الوجوهِ العابسة وكأنها فصل تم حذفه من مسرحيةِ حياتهم الهزليه .

بكت كالأطفالِ ووضعت يديها بقوةٍ علي قلبها تسمع له ينادي بأسمائِهم ويصرخُ اشتياقًا لهم ولا سبيل للوصول.

شَرعَت في مسحِ دموعِها بيدٍ مُرتعشة وَأَخَذت ما تَبَقَّي لها من جسدٍ يُواسي ما فيها من روحٍ وصعدت لغرفتِها كي تنامَ وتحلم بضحكةٍ بريئةٍ من أطفالها .

♠♠♠

طريق

رَكَبَت السِّيَارة مُتَعَجلَه تَنظرُ لساعتِها ترجوها أن يمُرَّ الوقتُ بسرعة حتى تلحقَ بميعادِها الذي انتظرته طويلًا كانت تراقبُ الدقيقة حتى تصلُ للأُخرى وتمل الثواني التي تمر كأنها سنواتٌ طويلة .. وبعد طول انتظار اكتملت السيَّارة وبدأت في التحرُّك، أخذت تتأمل وجوهَ من في السيَّارة وكأنها ما رأت بشرًا.

جَلَسَ في مُقَدِّمة السيارة رجلٌ يقرأ الجريدة مُتَفَحِّصًا فيها كُلَّ كلمة بعنايةٍ شديدة وكأنه يبحثُ عن جُملةٍ تُعطيه أملًا في غدٍ مجهول يخافُ منه.

جَلَست بجانبه سيدةٌ جميلةٌ في الثلاثين من عمرها تَنظُرُ من النافذة المجاورة لها في هدوءٍ شديد يُشبِهُ ملامحها كثيرًا لا تلتفت لاي شيء يحدث وكأنها لم تكن موجودة بيننا .

يَجلسُ بينهما شابٌ لا يتجاوز الخامسة والعشرين، ولكن يظهرُ علي ملامحه عجزٌ كبير صامت وعيناه هائمتان في الملكوت بداخله شجنٌ كبير ويَظهرُ عليه حزنٌ عميق وظلَّ صامتًا كأنه مَلَّ الطريق .

وفي الكنبه التالية يجلسُ شابٌ وزوجته تصل لحيتُه إلى نصف صدره عَبوس الوجه كئيب الملامح يقرأُ في كُتَيِّبٍ صغير عن عذاب القبر لا ينتبه لأي شيء حوله ولا حتي زوجته التي تَوَشَّحَت بالسواد من أعلي رأسِها إلي أسفل قدميها، والتي قد ظهر عليها الملَلُ الشديد فكانت تَنظرُ له من وقتٍ لأخر وتديرُ وجهها للجانبِ الآخر وكأنَّها تريدُ أن تقول إنتَبِه لى قليلًا .

وفي الكنَبة الأخيرة تجلسُ سيدتان معًا ولكنهما متناقضتان تمامًا، فالأولي لا تعرف شيئا عن الأنوثه صوتُها مُزِعجٌ جدًا، فحين تتفوه تعطيك شعورًا أنها ترغب في مشكله، كثيرة الشكوى من زوجها و الثانية تستمع إليها في هدوءٍ شديد تحاول مواساتها على ألامِ حياتِها وبالرغم من قلة حديثها تظهرُ عليها الطيبة الشديدة.

جلس بجانبهما رجلٌ قد تجاوز الخمسين من عمره أسلوبُهُ راقٍ يتحدث في الهاتف طوال الطريق ينتهي مع شخص ويبدأ بأخر كل شخص يتحدث معه يعرض عليه المساعدة يجعلك تحتار في أمره هل هو وَدُود بالفطرة ؟ أم أَنهُ يكسرُ وحدَتهُ في الطريق .

أخذت تفكر في إختلاف البشر، وصلت السيارة سريعًا، هرولت لتلحق بميعادها المنتظر .

♠♠♠

أمل

جَلَسَت على شاطئٍ بعيدٍ تتأملُ امتدَاد المياه الزرقاء، أغمضَت عينيها وخرجت منها تنهيدةٌ قوية تبعتها آه كسرت أضلعها.

بدأت روحُها رَقصَةً متناغمة مَعَ أمَواجِ البحر على ألحان حزينة هادئة، عادت لِتُغمضَ عينيها مره أُخرى لتستعيدَ كل ما فاتَ عليها من حياةٍ لا تستوعبُ كيف عاشتها.

اليوم هي فتاة في الخامسة والثلاثين من عمرها، لا تعرفُ كيف وصلت لهذه السن دون أن تشعُر، يملأُها إحساسٌ بالألم ممزوجٌ بالعجز أمام واقع تجهل التعامل معه .

كانت من قبل فتاةً يملأُ المرحُ روحَها تملك وجهًا بريئًا تُشبه بِه الأطفال ،واليوم هي مجرد فتاةٌ عابسه دائما لا تقوى على الابتسام .. يَثقُل أي كلام كاهلها فلا تتحدث، الصمت الآن اصبح شعارُها.

منذ بضع سنوات كانت محاطةً بالكثير من الصديقات هؤلاء التي ظنت يوما إنَّهُن سيبقَين معها حتى الموت

وبين زواجِ واحده ورحيلِ أخُري وجَدت نفسها بمفردِها في مواجهة حياةٍ قاسية دون أحد .

أيامهُا الروتينية المُمله تجعلُها زاهدةً في الحياة، أكثر ما يؤلمُها نظرةُ أُمِّها لها دون حديث، نظرةٌ يعتريها كسرةُ قلب ممزوجةً بالخوف علي ابنتها الوحيده التي تأخر زواجُها لليوم .

ثم تنتقل إلى نظرة أبيها الحانية الممزوجة بالعجز أمام عدم حصول ابنتِه علي رجل يستحقُّها يجعله يفارق الحياة مطمئنا على ابنته من بعدِه .

أصبحت تختبئُ من كلِ شخص تعرفه حتي تتجنب تلك الأسئله السخيفه عن سبب تأخر زواجِها وكأن بعض البشر يتلذذونَ بإيذاءِ مشاعر غيرهم ولومهم على أحداث قدرية لا دخل لنا بها .

أصبحت حياتُها تمر يوما يليه الأخر تعيشه هاربةً من كل شئ وكل شخص وكل نظره تجرحها وتؤذيها .

مسَّ أُذُنَيهَا صوتٌ غريب يأتي من بعيد أحسَّت به يلامسُ روحَها وكأنه يناديها ففتحت عينيها ونظرت باتجاهِ الصوت، وجدت امرأه غريبه تتوشحُ بالسواد غجرية الشعر عيناها سوداوان كحيلتان مخيفتان غاب عن سمائهما القمر.

زادت نبضاتُها في خوفٍ عندما اقتربت منها ذات السواد وجلست بالقرب منها ثم تمتمت ببعض الكلمات

غير المفهومه ثم قالت بصوتٍ واضح موجهة الحديث لها: إن الخيرَ قادم وسعادتَك تسكن داخلك ابحثي عنها ستجديها وذهبت .

نظرت إليها والذهول يملأُ عينيها وابتسمت ابتسامة باردة مترددة، بداخلها أملٌ يشوبُه خوفٌ ثم نظرت للسماء وبكت هي والسماء معا.

♠♠♠

هُناكَ من يَرَّعُونَّ الإنسانية،
يَجلِسونَّ في المُجتمعاتِ المزُيفَة،
ليَتبَاهَوا بإحساسِهم المرهف تِجاه الفُقرَاء،
وتتزيَّن كلماتِهم بالدمُوع الكاذبه مبرين تعجُبهم
كيف يتحملُ الفُقراءَ تِلكَ الحياةِ لقاسية،
وحينَّ يحتاجُ لهم مَن يستحق العونَ في الحياةِ الحقيقية
يكتفون بإدارة وجوههم
لأنَّ مشاعرهم لا تتحمل مثل تلك المشاهد.

□

حرية

إحساسُها بالحرية جعلَها كفراشةٍ طائرةٍ في الهواء من سعادتها المُنَشِّطة لكل طاقاتها وحواسها، وأخذت تغني بصوت عذب وكأنما اختفت كل مشاكلها وبدأت عصرًا جديـدًا من الراحـــة والاطمئنـــان، برغم غـدٍ مجهـول ومَشُوب بالقَلقِ إلا إنَّه كان بداخلها ما يبعثُ لها روحَ الأمان.

مرَّت بجانبه غير مُلتفته ثم جاءها اتصالٌ هاتفيّ فاجأهَا بخبرٍ سعيد وكان هو بغير قصد مستمعٌ لها فوجدت نفسَها تُشارِكه حُرِّيتَهَا وسَعَادَتَها.

لم يَكنُ بحوزَتِها سوى ذلك المبلغ التافه، وبدون تفكير أخرجته ووضعتهُ في يده فأخَذَه بابتسامة رضا وشكرٍ يملأُ عينيه اللتين امتلأتا بالحزن الدامس مع ملامحه الصارخة بالرجولة الحقيقية برغم سِنِّه الذي لم يتعد العشرةَ أعوام .

وبعد حوارٍ قصيرٍ معه خَرجَت منه بطفلٍ مقهور يشتاق لسريرٍ دافئ وبيتٍ آمن وحياةٍ مُستَقِرَّة بلا إهانة .

خرجت تلك المجنونة التي بداخلها، وقررت دون تردد أن يذهب هَذا الرجل الصغير إلى منزلِه مُبَكِّرًا لينام

مطمئنًا ولو لليلةٍ واحدة.
نسِيَت كلَ ما تعرِفهُ عَن مَا يُسَمَّى بمظهرِهَا الإجتِماعي وشَكلِّها العام وتَذَكَّرَت فقط إنسانيتَهَا، وَقَفَت في وسط الطريق تسأل المارة أن يُخاطِبوا ذلك الإنِسانَ بداخلهم ويُخرجوا من جُعبتهم لإنقاذ هذا المَسكِين .

واكتشفت أنَّ الإحساسَ قد ماتَ بقلوبِ البعض، إذ يكتفي بمجردِ إلقاءِ نظرةٍ حقيرةٍ عليه لمحاولة تعويضِ نقصٍ بداخلِهم وإثباتِ لنفوسِهم المريضة أنَهم افضلُ مِنه.
في نفس الوقت رَفَضَ هو بِقُوَّةٍ كُلَّ تلك المساعدات البريئة له وَوَقَفَت أمَامَه عزَّةُ نفسِه التي فَقَدَها الكثيرَ .

إلا انَّها رفضت كل إحساسِه ووقفت بجانب ضعفِه بقوتها وأصرَّت علي مساعدتِه وتحقيِق هدفها الذي أصبح تحدٍ لحريتها واستسلم هو لجنونِها عندما تأكد أنه لا بُدَّ منه .
أستطاعت أن تنقل إحساسها بإنسانيتها أن تُحَرِّكَ البعض وسرعان ما قامت بجمع المبلغ المطلوب.
وأخذه بقبضة مُرتعشة يمنعه كبرياؤه يُجبره احتياجه ثم ذهب بعيدا دون أن ينظر إليها، وذهبت هي الأخري في طريقها يرقص قلبُها تتعلمُ درسًا جديدًا من طفلٍ يعلمِّ الجميع، كيفَ تكونَ رَجُلًا.

♠♠♠

عناقيد الياسمين

يفتح ذلك الباب الخشبيّ لتداعبَ الشمسُ عينيه فيضع كفه حاجزا بينهما احتجاجًا على سخافةِ تلك المداعبة لأنها ستحرقه بعد ساعاتٍ قليلة من الآن .

يومٌ جديد بأمل جديد أن تكونَ مكاسِبه اليوم أفضل من أمس ويوفِّر علي نفسِه توبيخَ أبِيه المتكرر له .

طفلٌ شاب لم يتعد عمرهُ الخامسةَ عشرة ،أسمرالوجه بفعل قسوة الأيام عليه. تحتفظُ عيناه بلمعةٍ قويةٍ تمزجُ بين الكبرياء الخالص والحزنِ القهري.

يبدأ رَحلةَ شقائِه اليومية حاملًا عناقيدَ الياسَمين التي تتسللُ رائحتُها إلى قلبِه تُطمئِنُه على إنسانيته .

يتلخَّصُ عملهُ في محاولةٍّ إقناعِ أشباهِ البشَر بشراءِ بعض ما لديه لتطهير قلوبهم .

يتحمَّلُ هذا الذي يحملُ بداخِله نقصًا كبيرًا يخُرجُ على هيئةِ نظرة يحتقره بها ولا يحتقر غيرَ ذاتِه، وذاك الذي يتعاملُ معه بأنَّه لم يُخلق يومًا ويكتفي بغلقِ زجاج سيارتِه ليؤكدَ لنفسِه عدمَ وجودِه من الأساس .

يظلُّ مستمرًا في محاولاتٍ مستميته لبيعَ ما لديه لأن الياسمين يأبي أن يُعرض ليومينِ فقد اكتسبَ الكبرياء من عيون صاحبِه.

انتهى نصفُ يومِه وهو يشعرُ بالعطش، يمسحُ جبينهُ وينظرُ للشمسِ نظرةً حاقدةً متسائلًا كيف تحنو صباحًا وتقسو الآن ! من أين لها هذه الإزدواجية، هل تعلمتها من البشر أم هي صاحبة الفضل عليهم في هذا ؟!!

ينظرُ لقدميه يرجوهَا أن تتحمل معه مزيدًا من الألم كي يستطيعَ أَن يقُّدم لها الراحةَ اليوم باكرًا.

يأتي الليل فتدب البرودةُ في قلبِه ويرتعدُ جسدُه، ودون إدراكٍ منه أصبحَ يبحثُ عن مكانٍ يأويه جلسَ على رصيفٍ مهجور وشعرَ بحاجةٍ مُلِحةٍ في البكاء ولم يُقاوم كثيرًا .

بكى كالاطفالِ قهرًا كالرجالِ صمتًا، حتى غفت عيناه وهزم الألم جسده ونام في مكانِه .

♠♠♠

غزل البنات

في وَسطِ هذا الزحامِ الكبير، وَقَفتُ أضحكُ ضحكةً عالية خرجَت من قلبي ومرَّ هو بجانبي، صغيرُ السن ترتسم على وجهِه ملامحٌ حزينة يجمعُ بينِ براءةِ طفلٍ صغير وكهولة رجلٍ كبير فعل به الزمان فعلته.

أسود البشرة ليس لونه الطبيعي وإنما من أثر الغبار الغارق فيه طَوال يومِه .. ملابسه تُشبه قطعةَ قماشٍ قديمة مهلهلة، نحيل الجسم، يُمسك آله تُخرج صوتًا سعيد يتناقضُ مع حالتِه المزرية .. يبيع السعادة لأطفالٍ في سنِّه، ولا يستطيع شراءها لنفسه .

نَظر لي نظرةً جذبتني اليه، وكأنه يستنجدُ بي لكي أُخَلِّصَه من مأساته، أو نظرة لوم لي عما وصل إليه الآن .

ذهب بعيدا ووقفتُ مكاني أَشعرُ بالعجزِ الشديد، اختفت ضحكتي وتجهم وجهي.

♠♠♠

أولئك الذين يَبحثُون عنِ الراحةِ في الحبِ مخطئُون،
الحبُ وُجِدَ ليشقى به أُصحابه،
ويجب أن تكُونَ مُستعدًا ..
للعذاب، وجنونِ الغيرة، وألمِ البُعد، ووجع الحنين،
أو اجلس بعيدًا في صفِ القلوبِ الضعيفة
تشاهد من يَموتونَ عشقًا،
وانجُ بنفسك عن هذا الوجع.

كان صديقي

أكَمَلَت زينتَها ونظـرت للمرآة، اكتشفَت على وجهها ابتسامة مُصطَنَعة تزيد من حِدَّةِ تَوتُّرِها غير المُبَررَّ. تَأَمَلَت وجهها قليلًا وضعت ابتسامتها الكاذبة جانبا وجَلست على طرف الكرسي، وضعت يدَها على قلبِها الذي ينبض بسرعه غير مُعتاده، لاحظَت رعشة تسري بجسدِها .. أغمضت عينيها لتبحث دَاخلها عن سببٍ واضحٍ وراء تلك الجلبَه التي تحدث برأسها.

لا ينبغي لها تكون بهذه الحاله اليوم، فاليوم هو يوم زواج أقرب شخص لها، صديق العمر، رفيق الدرب، موضِع أسرارِها وموطِن راحتها .. يجب أن تكون الأسعد.

فتحت عينيها على إطارٍ فضي بداخله صورة تجمعهما وتجمع معهما سعادتهما، تأملَت الصورة قليلا وهدأ توترُها، تحوَّلت قسماتُ وجهِها إلي طفلةٍ لها ملامحٌ هادئة بابتسامة بريئة حين اكتشفت الشبه الكبير بينهما نفس الضحكة تعبيرُ الوجه، نفس الأفكار، نفس الأحلام وطريقة تحقيقها .

تبًا كم يُشبهانِ بعضهما !!

استنكرَت هذا الإحساس الذي يحتلُّ أَرجاء روحها الآن، شئ خَبَثَّتهُ بداخلها منذ سنوات وأنكَرَت وجوده من الأساس، واليوم يحتجُّ بشدة، ويطالب الإعتراف به.

انتبَهَت لهاتِفِها يرِنَّ باسمه، فزادَت ضرباتُ قلبِها أكثر وعاد توترها من جديد، دائمًا يأتي صوته في الهاتف مُشاكسًا، عالٍ بلا داعٍ ولكن هذه المرة كان صوتًا مختلفًا، حزيناً غريبًا كصوت عجوز لم يَبق له من الحياة سوى انتظار نهايتها .

بعد لحظات من الصمت قال بصِوتٍ مُنخفض أشعرُ بضيقٍ شديد لا أعرفُ سببه، حزنٌ غريب يحتلُّ وجهي، ووضع يُجبرني على البكاء، أحتاجُك كثيرًا واشتياق غريب لرؤيتك .
هرَبت منها الكلمات، أَحسَّت بأن الكرة الأرضية تقفُ في حلقِها .. منعت صوتَها من الخروج لمقابلة صوتِه الحزين، حاولت استجماع قواها من جديد، وقالت: "أنا في الطريق" .

وصلَت مع بدايةِ الزفاف، وقفَت بعيدًا تُشاهِدُ تلك التي تتعلقُ بيديه وتعلمُ جيدًا أَنها لا تُناسبه، لن تَفهمَه مثلها، لا تستحقه وهو سيدُ الرجال يستحقُ الكثير.
انتبهَت لعينيه تَتلفَّتُ في جميع الأرجاء تبحثُ عنها دون أن يأبه للأضواء المُتَسلِّطة عليه، فابتسمَت بهدوء

وشعرَت بألم يعتصرُ قلبها.

بَدت على وجهِه ابتسامةٌ باردة لإرضاءِ الحضور، وَتَحوَّلَت تلك الابتسامة لضحكةٍ عريضة حين رآها واطمأن بوجودِها .
ظلت طوال الليل تراقبه وعيناه لا تَرى غيرها تشب نارًا بداخله حين يَراها مع أحدهم .

في نهاية الحفل طلب أغنيةً خاصه بهما، وأمسَكَ يَدها ورَقَصَا معًا في تَجانُسٍ لا مثيل له أبهرَ كُلَّ الحاضرين، تأمَلَها قليلًا وقال كيف يُمكِنُكِ أن تكوني جميلةً إلى هذا الحد فاكتفَت بابتسامةٍ تُحاولُ بها إخفاءَ عينيها الغارقتين في الدموع .
شارَفَت الرقصةُ على الانتهاء، ضَغط علي يَدها بحنوٍّ بالغ قائلًا اكتشفتُ اليوم أنني أحببتُك، تَجَمَدت قدماها في الأرض وتوقَّفَ كل شيء حولهما، وبعد لحظات من الصمت قالت له : "لطالما أحببتُك" .

دونَ انتظار ردِّ فعلٍ منهِ أمسَكَت يَده ووضعتها براحةِ يد عروسته، وَدَّعَتهُما بابتسامة أمٍ حانية، وتشاركَا سويًا دمعةً واحدة .
خرجت منهما تنهيدةٌ واحدة، نظر إليها نظرةً أخيرة، ذهب وهو يعلم يقينًا أنه لن يراها مُجددًا .

♠♠♠

نصف حالة

هو كان يحتاجُ إلى مَن تستمعُ إليه بِإنصات، تَفهمُ إحساسَه وتسمعُ شَكواه، مَن يَبكي علي صدرها دون تَوَقُّف دون إحساس بالضعف، يحتاجُ إلي تلك اليد الحانية التي تُنسِيه كُلَّ عذابهُ وآلامه، وإحساسَه بالوحدة الشديدة بين أُناسٍ من دَمِه.

وجاءت هي لِتُعِّوض كُلَّ هذا الاحتياج أعطتهُ أُذُنًا تسمعُ له، وَتقفُ بِجانبها بَقَّيةُ حَوَاسِّها تَضَّامُنًا معها لِتُصبِحَ هي بِكُل إحساسها مِلكًا له فقط .. حِينَّ تَبتَعد عنه يفقد عقله، فَأصبَحَت هي تلكَ العين التي يَري بها كُلَّ جمال.

لأوَّل مَرّة فَكَّر بأنانية وبحث عن سعادتِه معهَا التي فقدها من زمنٍ بَعيد استطاع أن يضحَكَ مِن قَلبهُ مرَّةً أُخري بعدما فقد الأَمل في عودةِ الضحكِة إلى وَجَهَهُ مَرةً أُخرَّى .

هي كانت تحتاجُ إليه كَثِيرًا حَتى أكثر مِن احتِيَاجه لها كانت تحتاج لِمَن يتَفَهمهَا وَيَشعُر بوجَعها ويملأ وحدتها.

استَطَّاعت بَعد بحث طويل أن تجدَ من تختبئُ وراءَ ظهِره ليحميَها من كلِ الخوفِ الذي يُحيط بها.

تناسَت أنَّهُ ليسَ ملك لها ولا ملك لِنَفسهُ فهو ملكٌ لأُخرَّي تَحمل اسمُه يَنَام بَينَ أَحضَانها كُل ليلة وإن كان لا يعشَقَها وإن كان لا يتفاهم معها ولا يريدها وبِرَغم كُلَ ذَلِكَّ هِي الوَحِيدة التى لَدِيهَا حَق امتلاكه .

تناست أطفالًا ينامون مُطمئِّنين لأنهم يعلمون بوجودِه جانبهم، ولكن سرعان ما لَطَمَتهَا الدنيا على وجهها لتفيقَ من هذا الحلم الوهميّ ولحظاتِ السعادة الغالية القليلة معه لترى التعاسةَ الأبدية التي تنتظرهُا من بعده.

هُو لم يَكُن بالشجاعةِّ الكَافيِة التى تجعلُه يتخلَّى عن حياتِه البائسة ليخَتَار حياتَه معها، وهى لم تكن بالانانية الكافِية التي تجعلها تسرقه من قلبِ هذه العَائلة التي تملكه .

اختارت ان تعيشَ وحيدةً على ذكرياتِها السعيدة معه معتقدةً أنها لن تجدَ رجلًا مثلَه يحميها ويراها كما يراها هو، ومر الزمانُ واستمر هو في حياتة التعيسة يَبتَسم فقط من قلبه حين يَتذكرها ويدمع علي فراقِها.

وتحيا هي تَتَتَّبع أخبارَه من حين لآخر وتكتفي بنظراتٍ ترمقها له من بعيد دون حتى أن يراها فيكفيها أن تراه لتشعر بوجوده .

♠♠♠

تمسّكي بي

لم تعِرف عن هذا المُسَمَّي بالحب شيئا أبدًا، كلُ مَن حولَها عاشقات يتحدثن عن حبيبٍ جارح وحبيبٍ عاشق يملأ ايامَهُم سعادةٌ وشقاء .

لم تشعر أبدًا باحدٍ يَدُقُّ قلبَها ولا يَمسُّ مشاعرها سواه .

من نظرةٍ واحدة حَرَّكَ بداخلها إحساسًا هَزَّ كيانَها وَحَوَّلَها إلي أُنثى مجنونة لم تعرفها .

تَرَكَزَّ تفكيرها في كيف حَوَّل حياتَها من فتاةٍ تتَّسِمُ بالعقل والرزانة الي مجنونةٍ عاشقة تفاصيله .

تَشكَّلَت أكبرُ أمُنياتها في رؤيته فترتدي رداءَ حظها وتخرج أملا في اللقاء، أملا في بدايةِ يومها به .

تُفَتِّشُ بين ماضية وتتحري في حاضرة عن أخري تمتلك قلبه أو حبيبة يُسَلِّم لها حياتَه وبين هذه التي تُداعبُه وتلك التي تُحَاوُل لفتَ أنظارِه .

وَتَظَلُّ هي تُعَاني من صراعٍ بداخلها قلبها الذي دق ولأول مرَّة ويُجبرها على التقرُّب منه وبين عقلِها الذي يحتجُّ غاضبًا من جنونها ويأمرها بالبعد عنه .

قررت أخيرًا أن تستمع لعقلِها كذبًا وتطيع قلبها في الخفاء .

وفجأة بِدون أي مُقَدِّمات جاء هو ليمحو كلَ آثَار قلقِها وخوفِها فَبين كلِّ نِساء العالم اختارَها له شِريكة تُكمل مشوِارَه .

لم تعرف أبدًا بِحبِّه الدفين لها ونَارَهُ التي تُحرقة من بُعدِهِ عنها ولَم يَعرف أبدًا أنها لم تتمنَّ غيره فهو من خُلِقَ لها وهي خُلِقَت من أَجلِه .

♠♠♠

تِلكِ اللحظة ..

حينَ تشعُر بأَنِك وحيدٌ في زمنٍ غريب

بين أُشخاصٍ تعرِفَهم ولا تعرِفهم،

تشعُر بهذا الضِيق يحتلُ كيانك وإحساسِك،

والوجعُ يسيطر عليك،

وكلُ ما ترغب فيه هو الصُراخ بكل ما أُوتيت من قوة.

عجز أب

وَقَفَ أَمَام الحَائِل الزُجَاجِي عَاجِزًا حَتَى عَنِ البُكَاءِ، يَتأَمل وَجه ابنَهُ مِن بَعِيد، غِيرِ قَادِر عَلى لَمسِه، تَلعَب بِه الأَفكَارِ لِعبَة سخيفة لا يَستَّطِيع مُجَارَاتَهَا.

تَمُر مِن أَمَامه كُلَ تِلكَ الأَعُوَام المَاضِية مُنذُ اللَحظة الأُولَى مِن عِشرين عَامًا حِينَ رَأَى طِفلَهُ أَول مَرةً يَبكي مُنذُ هُبوطِه عَلى أَرض الحَياة، وَكَأَنَّ دُمُوعه كَانت نَذِّيرًا يُحذر مِن كُلِ مَا سَيحدُث ولَكن مَا استمع لِبُكائِه أَحد.

رَجُلٌ خَمسِيني مَلامِحُه تَكبَرهُ بِعشرِينَ عام، شَعرهُ كَلونِ القطن لا يَشُوبه أي سُواد، عَيناهِ دَامعتِانِ بِشَكل مُستَمر وَلكنَّ دُمُوعه تَأَبى السُقوط، حِينَ تَراهُ لأَوَلِ مَره تَشّعُر وَكَأَنَّهُ شَبَحٌ لِشَخص لم يَعُد حيًا، شَخص ماتَ مُنذُ أَن مَرَّضَ ابنه.

ابنَه شابٌ في العِشرين مِن عُمره، طَرِيح الفِرَاش، يُصَارِع المَرضَ مُنذُ وِلادَتهُ حَتى هَزمَهُ وجعلهُ صدِيق سِرِير لا يُفارِقه، لَم يَحىَ كَغِيره مِن الأَطفَال بَل بَقى سَجِينًا لِمرَّضِه اللعين .

فَارقت وَالِدَتُه حَياته مُنذُ أَعُوامٍ خَمسه، وتَركته أَمَانة بَينَ أَحضانِ وَالِدهُ المَسكِين .

وَالده المُوظَف الفَقِير، الذِي أضَطر لِبيع كُلِ شيء يَملُكُهُ، استَدَان مِن كُلِ شَّخصٍ يَعرِّفُهُ ولا يَعرِفه حتى لا يَفقِد أَخِر أَملٍ له في الحياة، يتمسكُ بِوجودِ ابنه بِكلِ ما لديهِ مِن قوةٍ حتى يستطِّيع التَنَفُس به .

انتبه لِمَا أَخبَرهُ بِه الطبيب عَن حَالة ابنه المُتأَخِره التي تحتاج عمَلية بِشكلٍ سرِيع في وَقتِ قرِيب حتى يُمكِنَهُم إنقَاذُه وإلا إذَا كانت النَتِيجة المحتُومة هُو فَقده لإبنه .

قالَ الطبيب كَلِمَاتهُ القَاسِية بُوجهٍ بَارِد وقَد وَصلت البرودة لِقَلبُه، فَلِم يَشعُر بَأَي شَفقة عَلى حاَلة الوَالِد وابنه وتَّرَكَهُ يُفَكِر كَيفَ سَيَجني هَذا المَبلغ في هَذا الوَقت القَصِير.

وَجَد نَفسُه دُونَ شُعور يَقِف في الشَّارع وَسط جُمُوعٍ مِن البشر لا يَعرف مِنهُم وَاحِدًا، جمدت قدَمِاه في الأَرض كَما جَمدت أَفكاره.

صرخَ بِأَعلى صَوتِه في النَّاس شَاكيًا لَهُم حَالَهُ، سائلًا مُسَاعدتهُم لِجَمع المَبلغ المَطلُوب، لَم يَر مِن النَّاس سِوى نَظَّرات الذُهُول والدهشَه المَمزُوجه بالشَفقه ونَظَراتٍ يَشُوبُها عدم التَصّدِيق مع القَلَق.

لَم يَشعُر بِنَفسِهِ إلا وهو يِجثُو على رُكبَتَيه نَاظِرًا لِلسَّمَاءِ وامتلأ وَجهُهُ بِالدِمُوع صَارِخًا بِصَّوتٍ هَزَّ أَرجَاء الأَرض .

♠♠♠

ليست الأولى

لَيست الأُولَى وَلَن تَكَون الأَخِيرة، وَقَفَت أمامَ المرآه تَرَّدد تِلك الجُملةَ عِدة مرات.

أَدَارت وَجهِهَا قَلِيلا لليَمِين، اقتربَت تَتَأمَل هَذا الوُجه المَاثِل أمَامها بِقُوةٍ، ثُم وَضعت يَدها بِبُطء فوقَ تلك الكَدمة الزَرقَاء تَحت عينيها وضَغَطت عليها قليلا فاستشعرت ألمًا شديدًا يسري بِكُلِ جَسَدِهَا وَرعشة تَمَكَّنت مِنها وخنجرًا غُرِسَ في قَلبِها بمُنتهى القسوة.

بدأَت دُمُوعُها في التَساقُط دُونَ صوتٍ صادرٍ عنها، الدُموعِ هي التَرجَمة الأَقوىَ لِلوَجع المُستَوطِن داخل الرُوح .

مُنذُ خَمس سَنَواتٍ بَدأت مأَسَاتُها، قَبل زَوُاجِها كانت قَد رَسَمَت حياةً وردية مَعَ زَوجٍ يَحتَوِيهَا بِأبُوةً ويَحترِم إنسَانِيتها ويَعشَقُ أُنُوثَتِهَا لَكِنّ سُرعَانّ مَا تَحُولَ هذَا الحَق إلَى كَابُوسٍ تَعِيشُه يَومًا بِيُوم فَلم تَكن تَعلم أنَ الجَحِيم بِانتِظَارِها حتي يَبدأُ حَفلَته .

فَمُنذُ الشُهورِ الأُولَى لِزُواجِهَا تتعَرَض لِلعُنفِ البَدَنِى الذِي يَرسمُ بِدَاخِلَها جِرَاحًا لا تُدَاوِيهَا الأَيام، ويَكسر فِيهَا

شِيئًا لا يُصَلِحه الزمن.

تَتَّعرض لِلإِهَانه مِنّ رَجُلٍ يَربُطّها مِن رَقَبَتِها بُورَقَةٍ وَلا سَبِيل للهرَّب مِنهُ إلا المُوت.

زّمت شفَتِيها بقوةٍ وأَجهَشَت بِالبُكَاء كَطِفلٍ رَضِيع يَقتُلهُ الجُوع ، وَحِينَ أَدركت صَوتهَا أَسرَعت بُوضعِ يَدِها على فَمِها حتى لا يَستَمع أَحدٍ إلى أَلامِها.

أَكثرِ مَا كان يُؤّلِمَها تِلكَ النَّظرَّة التي تَرمِقُها بِهَا ابنتها، النظرة المليئة بِالحَسرة المَمزُوجة بِالشَفَقه والعَجز عن مُساعدةِ أُمِهَا .

وتَسَاءَلَت هل وُجُودِ ابنَتِها في حياتِها سببً يُعطِيهَا أَملا في غَد، أم ذنَبٍ جَدِيد يَجعَلُهَا تُشفِق عَلى ابنَتِهَا مِنَ اختِيار أبٍ لَها يَرى أمها لِيسَت أَكثَر مِن حَيَوان يَخّدِم شَهَواتِه وَيُمَارِس عَلِيها رُجولتهُ المَرِيضَة .

وَحِينَ انتَبَهت لِلحَربِ التي نَشَبَت بِدَاخِل عَقلِهَا قَرَّرَت الصرَاخ بِقُوةً وَدُونِ تُوقُف حَتّى يُسَاعِدهَا على التَّمَرُد مِن أَجلِ حَيَاةٍ أَفضَل لابنَتهَا .

♠♠♠

قرارها

سيدة بَلَغَت من العمر الكثير، جالسةً في شُرفةِ منزلِها وحيدة تُدَقِّقُ النظَر في وجوهِ المارّة عَلَّها تجدُ شخصًا تعرفة ، تدورُ في رأسها الكثيرُ من الذكريات.

كم كانت فتاةً تختلفُ عن الجميع ذات شخصية قوية ثابتة ناضجة .. أَحَبَّها الكثيرُ وشغف بروحِها الكثير ثم تَخَلَّي عنها الجميع.

رَفَضَت الكثيرَ من القيود التي فُرِضَت عليها،اختارت البقاء وحيدةً علي أن تَختارَ حياةً تقليدية مكررة مع أشخاصٍ لا تستطيع الوصولَ لدرجة عقلِها.

اعتقدَت أنَّ مَن اختارت بإرادتها سَيَبقون بِجَانبها للأبد ولكن سُرعان ما ابتعد الجميع.

منهم مَن ابتعد مُرغمًا ومنهم من أخذته الحياة ومنهم من اختار البُعد بنفسه .

انتهي بها الحال الى إمرأةٍ عجوز وحيدة تبدأُ كل يوم جديد أَملا أن يكونَ آخر يومٍ لها وحيدة.

♠♠♠

وتبرأ الكمان في العزف ..

فتقْطع أُوتارها آخر نبضاتِها،

وتتعاون مع البيانو في كسرِ آخر حجرٍ مِنْ بناءِ صلابتِها

فتصحو الأفكارُ في رأسِها،

وتقرِر دموعُها عصيان كبريائِها،

وتنهمر دون توقف .

ناومة

وقتٌ متأخرٌ من الليل، الصمتُ يسوُد البِنايَة، تصعدُ درجات السلم بملل، يشعرُ جسدُها وكأنَّهُ تَجَمَّعَ ألمُ الكونِ فيه، أَخرَجَت مفاتيح حقيبتِها وأدارتَها ببطء.

أَضاءت المصباح ورمت بنفسها علي أَولِ كرسي قابلها منِ شدة التعب.

عيونُها ناعِسه وذهنُها مُزدَحِم، قدماها تشكوان من شِدَّةِ الإرهاق، تَلَخَّصت أحلامُها في حمامٍ دافئ وسرير مُريح ووسادة تلقي عليها رأسَها المُثقل بعد يوم عملٍ شاق .

ثم تَذَكَرَت أنَّها جائعة، فَتَحَّت ثلاجتَها فوجدتَها خاوية كمِعدتِها لا يوجدُ بِها غير زجاجات المياة وبعض الزجاجات الفارغة، تمَلملت قليلًا وثارت على ذاكرتِها ولكن من أين يأتي الوقتُ وهي مُنهَمكة في العمل طَوال اليوم تُطاردُ الفُرَص وتُحقق النجَاحَات .

ليس لديها وقتٌ لأيِ شيء آخر، حتى السؤال عن أمِّها التي شكى هاتفها اتصالاتها التي لا تملُّ منها ولا تنقطع.

أمها .. تذكَرَت لم تُجب علي اتصال واحدٍ منها منذ ثلاثة أيام مضت، لابد انها غاضبة من إهمالها المتكرر لها وانقطاع زياراتها عنها الفترة الأخيرة.

سأتَّصِلُ بها بعد الحمام الدافئ .. قالت في نفسِها .

تَلَقّت المياة الساخنة على جسِدها وذكرَتها بِدفء أحضانِ أُمِّها .

ارتمت على سريرها وَسلَّمتَ روحَها للنَوم ولم يستطع أُيُّ شَيء إيقاظها سوى ذلك المنبِّه الذي يسرُقها من راحةِ نومِها كل صباح لتعود وتمارسَ يومها الروتيني.

ارتدت ملابسَها على عَجَل وهروَلَت إلي العَمَل ناسيةً تمامًا أن تُحادِثَ أُمهَّا.

مَرَّ يومُها كأيِّ يومٍ أخر ولكن هناك شيءٌ لم يحدُث اليوم، شيء يحدُث كل يوم بعد قليل من البحث اكتشفت أنَّ أُمَّها لم تُحادثها اليوم ولو مَرَّة بعد هذا السيل اليوميّ من المُكالمات.
حاولَت الاتصال بها للاطمئنان عليها ولكنَّها لم تُجِب، فقَرَرَت أن تذهب إليها باكرا قبل التَوَجُّه للعَمل.

في الصباح استيقظَت دونَ منبِه لأنها لم تنم طِيلة الليل، هناك شيء يُخبرها أن أمَّها ليست بخير.
تَوَجَهَّت لمنزلَ والدتَها ودَقَّت البابَ مِرَارًا ولم تفتح، حاوَلَت الاتصَال بها، تسمع من الداخل صوتَ الهاتف

وأمها لا تجيب.

تذكَرَت سريعًا أن هناك دائما نسخةً إضافيةً من المفتاح تحت سجادة باب المنزل، فأخذته مُسرعه وفَتَحت الباب ودَخَلت تبحثُ عن رائحةِ أمِّها المُريحة.

كطفلةٍ ضاعت وسطَ الزحام ترى العالَم مُخيفًا مُظلمًا إلى أن تجد أُمها وتضمها لتري الأمان بَروحها .

تَسمَّرت قدماها علي بابِ غُرفة أُمها للحظات حيثُ تأملتها وهي مُستلقيةً على ظهرِها، ملامحُ وجهها مسترخية هادئة، اقتربَت وَلَمست يَدها فوجدتها باردةً جامدةً، مسَّت جفنيها فلم تتحرك، بطنُها مُنتفخ بعض الشيء، صَرَخَت، فيها لم تُجب، وَقَفت لحظات بجانِبها عيناها مفتوحتان غير مُستوعبة لم يحدُث، ثم أدرَكَت حقيقة رَحيل أُمِّها عن عالمٍ بشع تركتها فيه وحيدةً، سقطَت علي الارض وتكوَّمَت بجانبِ سرِيرها كجنينٍ ينتظرُ موعَد مُقابلةِ أُمِّه، وَبَكَت في هدوء.

♠♠♠

غربة قلب

جَلَسَت بِجَانب ذَلِك الغريب الذي أصبحَ دون إرادة منها الأقرب إليها، هي هنا جسدٌ بلا روح فقلبُها مع ذاك البعيد الملتصق بروحِها، الذي بِفعلِ مَا يُسَمى بِالظُّرُوف ابتعد .

تري كلَ من حولها يرقصُ فرحًا لها وكل ما بداخلها يبكي من أجلِها.

تختبئُ خلف ابتسامتِها المتصنعة المُوجعة لها حتي لا يشعر من حولها أنَّ يومَ زفافِها علي غيره هو يوم تشييع جنازتها .

♠♠♠

رحيل

يومٌ جديد وليس كأي يوم، فَتَحت عينيها ولم تشعر بانقباضةٍ مثل كلِ يوم . أفاقت وقد اتخذت قررَاها ولن تتراجع عنه أبدًا .

أَعَدَّت فُطورًا شهيًا، تَناوَلت طعامَها بمنتهى الهدوء علي صوتِ موسيقى راقية.

ارتدت ثيابًا ظهرت فيها كملاكٍ طائر، وضعت كامل زينتَها كعروسٍ تُزَفُّ لحبيبِ العمر .

تَفَقَّدت كُلَّ شيءٍ حولَها بدِقَّة عالية وكأنها تُلقي النظرات الأخيرة مودِّعة بعينها كَل شيء، فَكل شيء له ذكرى قوية بداخلها .

توقَّفت للحظاتِ أمام صورةٍ لطفلةٍ جميلة بين أبويها تشبهها كثيرًا تَضحك ضحكة بريئة وتبدو على وجهها السعادة. وقَفَت تتأمَلَها متساءلة في حسرة كيف وَصلت الي هذه الحالة من البؤس والأسى .

حاوَلَت منعَ دمعَةٍ أبيَّة من السقوط ولكن دموعها أعلنَت عليها العصيان .

مسحَت بأطراف أصابِعها دموعَها ونظرَت في اتجاهِ

الشُّرفة ثم تَحَّركَت نحوها في حركاتٍ مترددة بطيئة.

تَتَنَفَّسُ بشكلٍ هادئ، وَصَلَت لنهايةِ الشُرفة، نظرت في السماء، ثُمَّ أَخَذَت نَفَسًا عميقًا، فَرَدت ذراعيها وكأنها تحلق، أَغَمَضَت عينيها تسترجعُ كُلَّ ما مرَّ بِها .

فِراقُ أُمِّها، تلك السيدة التي كانت دعمًا لا ينقطعُ لها ومصدرًا للقوَّة الأبدية، ثم تلك الحادثة المُفاجئة لها التي جَعَلَت منها إنسانة هَشَّة غيرَ قادِرة علي المُوَاجَهَة، بعد ذلك الخذلان الذي أَصابَها من أقربِ شَخصٍ بحياتِها ذاك الذي أَعطَتهُ الكثيرَ من كُلَّ شيء فَهَرَب الى القليل من غيره.

ثم خسَارَتها لعملِها والفشلِ المتتالي الذي لحق بها، ثم البُعد المفاجئ عن كل شيء والالتجاء الى العُزلة والوحدة ثم الحاجة المُلِحَّة للرحيل .

فَكَّرَت في قرارِها وخَرَجَت منها الدمعة تواسي الأخري، انقطعت انفاسُها فجأة وبَدَأَت في تنفيذِ قرارِها بالرحيل .

فلطالما كان الموتُ هو الحياة، ولطالما ارادَت هي الحياة .

♠♠♠

لمّت

للتواصل مع الكاتبة:

walaa.bayoumi@yahoo.com

من إصدارات مؤسسة زهرة الكتاب

الشعر والخاطرة :

- لابس وش : علاء أحمد
- فعشقت مجددًا : أحمد لملوم
- امرؤ الهلس : إسماعيل علي
- إنسان فالصو : محمد الشحات
- فأنت تفاح أخضر : عبد الرحمن حميدة
- ضل ونور : لمياء عامر
- تراتيل عاشقة : شاهندة الزيات
- ثورة عاشق لم تكتمل : محمد أبو ذكري
- وجع الحنين : هيام الجمل
- أبجدية حب : كواعب البراهمي
- لك الحب : إيمان زايط
- حب في زمن حزين : السيد حسان
- فراغ عاطفي : علي نمر
- هلاليات : عبد الرحمن الهلالي
- الشتاء الأخير : آية علي الشاعر
- خلطة مطبعية : إيهاب الكيلاني

الرواية والقصة القصيرة :

- استربتيز : منة الله رأفت
- الصامتون تحت الأرض : هبة حمدي
- المواجهة الملعونة : محمود شاهين
- للأحلام اسم آخر لا نعرفه : محمد صلاح المصري
- طائر في الظلام : إيمان عبد الخالق
- هن : ولاء بيومي
- رجل ضد العالم : سمير زكي
- (HIV) من مذكرات مثلي : علاء أحمد

الكتب المجمعة :

- تيليجرام : شعر
- سيلفي : شعر
- سيجا : شعر
- صف ثاني : شعر
- قلم رصاص : شعر
- ترابزين : شعر
- بارانويا : شعر
- بيانولا : قصة قصيرة
- ألوان : قصة قصيرة
- نيكتوفيليا : خواطر
- إنسانوبيكيا : شعر وخاطرة وقصة قصيرة

المقال والدراسات :

- مداد في حب الوطن : د.أحمد السعدي
- كيميا الحب : سارة حسين
- لا مؤاخذة : أحمد مرسي
- مدن مصر المحروسة (حتمية الموضع، إمكانية الزمان) : علي محمود العبادي
- شرائع محرمة : كواعب البراهمي

لطلب إصدارات مؤسسة زحمة كُتّاب للثقافة والنشر، زوروا مقرها في : ١٥ شارع السباق، مول المريلاند، مصر الجديدة، أو زوروا موقعها الإليكتروني لمعرفة أماكـن التوزيـــع على مستـوى الجمهـورية، والدول العربية.

للتواصل :

www.za7ma-kotab.com

www.facebook.com/za7ma

www.facebook.com/za7makotab

za7ma-kotab@hotmail.com

٠١٢٠٥١٠٠٥٩٦

زحمة كُتّاب .. القدرة قرار !

الفهرس

إهداء---------- ١
مقدمة ---------- ٢
انتظار---------- ٣
لقاء ---------- ٥
خيبة أمل ---------- ٨
مرارة الفقد ---------- ١١
سيدة الحزن---------- ١٣
يا أمي---------- ١٤
سجينة العمر---------- ١٧
طريق---------- ١٩
أمل ---------- ٢١
حرية---------- ٢٥
عناقيد الياسمين ---------- ٢٧
غزل البنات---------- ٢٩
كان صديقي ---------- ٣١
نصف حالة---------- ٣٤

تمسّكي بي---------- ٣٦
عجز أب ---------- ٣٩
ليست الأولى---------- ٤٢
قرارها ---------- ٤٤
نادمة---------- ٤٦
غربة قلب ---------- ٤٩
رحيل ---------- ٥٠
من إصدارات مؤسسة زحمة كُتَّاب ---------- ٥٤
الفهرس---------- ٥٨